

أ. د جاسم ياسين الدرويش
أ. د حسين جبار العلياوي
جامعة البصرة- كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص:

تقع مدينة مالقة على ساحل البحر المتوسط المقابل لبر العدو المغربية ، فتحها المسلمون سنة ٩٢ هـ / ٧١٠ م ، ثم تعاقب عليها ولاية الدولة الإسلامية في الأندلس طيلة مدة حكمهم لها حتى سقوطها بيد النصارى سنة ٨٩٢ هـ / ١٤٨٦ م والتي استمرت ٨٠٠ عام .

ولما كان فتح المسلمين لها سهلاً وسلساً ولم ترق فيه الدماء ، كان السقوط بيد النصارى على عكسه تماماً ارتكبوا فيه أبشع أنواع القتل والطغيان والاستغلال الذي تندى له جبين الإنسانية حيث لا إنسانية آنذاك . وقد تطلبت مادة البحث تقسيمه على ثلاثة مباحث سلط الأول الضوء وبشكل سريع على تاريخ مالقة من الفتح حتى سنة ٨٦٨ هـ / ١٤٦٣ م لما لذلك من علاقة بتسلسل الأحداث فضلاً عن التعريف بجغرافية المدينة ، فيما خص المبحث الثاني بالهجوم عليها سنة ٨٨٨ هـ / ١٤٨٣ م ، ومهدنا له بالتعرف على الأوضاع السياسية التي سادت في دولة بني الأحمر ثم نتائج ذلك على مالقة ، أما المبحث الثالث فقد تناول الهجوم الأخير على مالقة سنة ٨٩٢ هـ / ١٤٨٦ م وحصارها براً وبحراً والمقاومة الشرسة التي أبدتها المسلمون ثم استسلام المدينة وتعرض أهلها لأقسى أنواع القتل والتشريد في واحدة من أفزع المجازر عبر التاريخ والتي أغفلتها أقلام كثير من الباحثين .

الكلمات المفتاحية : مدينة مالقة - حامد الذعري - أبو عبد الله الزغل - أنطونيو آغابيدا.

The fall of the Andalusian city of Málaga(892AH / 1486 AD)

Prof. Jassim Yassin Al Darweesh

Prof. Dr. Hussein Jabbar Al-Aleiyawi

Dept. of History, College of Education for Human Sciences, University of Basrah

Abstract:

Malaga is located on the Mediterranean coast opposite the Moroccan mainland. It was conquered(opened) by the Muslims in the year 92 AH / 710 AD then it was ruled by different rulers of the Islamic state in Andalusia until its fall in the hands of the Christians in the year 892 AH / 1486 AD, which lasted for 800 years. And since the conquest by the Muslims was easy and smooth, and blood did not spill over into it, the fall at the hands of the Christians was completely opposite to it. The research material required dividing it into three sections. The first shed light quickly on the history of Malaga from the conquest until the year 868 AH/ 1463 AD for its relation with the sequences of events as well as the geographical definition of the city. The second section was about the attack on it at 888 AH / 1483 AD and we mentioned the political situations that prevailed in the state of Bani al-Ahmar and then the results of that on Malaga. As for the third section, it dealt with the last attack on Malaga in 892 AH / 1986 AD, its siege by land and sea, and the fierce resistance shown by the Muslims, then the surrender of the city and its people who were subjected to the most severe types of killing and displacement in one of the most terrible massacres throughout history, which the pens of many researchers overlooked.

Key words: Malaga city, Hamed Al Dhra'I, Abu Abdullah Al-Zaghal, Antonio Agabeda.

حكم المسلمون الأندلس حوالي ثمانية قرون (٩٢ - ٨٩٧ هـ / ٧١٠ - ١٤٩٢ م) وكانت عملية الفتح سيرة وسريعة ولم تشهد أحداثاً دموية كبيرة بين الفاتحين وسكان البلاد الأصليين ، ولكن بعد قيام الدول والممالك النصرانية ازدادت حدة المواجهات وظهر ما يسمى بحرب الاسترداد لطرد المسلمين التي شهدت أعمال عنف من قتل وتدمير وتهجير وتنصير شهد بفضاعتها المنصفون منهم .

وفي هذا البحث حاولنا أن نسلط الضوء على ما شهدته مدينة مالقة الأندلسية من فضائع على يد القوات النصرانية التي دخلت المدينة بعد ٨٠٠ سنة من حكم المسلمين لها ، وقد تطلبت مادة البحث أولاً التعريف بموجز عن تاريخ المدينة حتى سنة ٨٦٨ هـ / م لما لذلك من علاقة بتسلسل الأحداث فضلاً عن التعريف بجغرافية المدينة ، ثم تطرقنا في المبحث الثاني إلى المحاولة النصرانية الأولى للهجوم على المدينة سنة ٨٨٨ هـ / ١٤٨٣ م ، ومهدنا له بالتعرف على الأوضاع السياسية التي سادت في دولة بني الأحمر ثم نتائج ذلك على مالقة ، أما المبحث الثالث فقد تناول الهجوم الأخير على مالقة سنة ٨٩٢ هـ / ١٤٨٦ م والمقاومة الشرسة التي أبداها المسلمون إلا أن قطع الإمدادات عنها جعلها تواجه مصيرها لتستسلم بدون شروط وتعرض أهلها لأقصى أنواع القتل والتشريد في واحدة من أفزع المجازر عبر التاريخ والتي أغفلتها أقلام كثير من الباحثين.

المبحث الأول : لمحة تاريخية عن مدينة مالقة حتى سنة ٨٦٨ هـ / ١٤٦٣ م

وهي مدينة أندلسية تقع على ساحل البحر المتوسط ^(١) المقابل لبر العدو ^(٢) ، وأصل لفظها أعجمي ^(٣) ، وهي مدينة قديمة ضمن كورة رية Ralyo ^(٤) ، وقيل إن مالقة وأعمالها هي كورة رية ^(٥) ، وتقع بين إشبيلية Sevilla وقرطبة Granada على بحر الزقاق ^(٦) ، وصفها الإدريسي بقوله : (ومدينة مالقة مدينة حسنة حصينة ويعلوها جبل يسمى جبل فاره ولها قصبة منيعة وربضان لا أسوار لهما وبهما فنادق وحمامات وبها من شجر التين ما ليس بأرض وهو التين المنسوب إلى رية ومالقة قاعدة رية) ^(٧) ، كما وصفها الحميري بالقول : (مدينة على شاطئ البحر ، عليها سور صخر ، والبحر في قبليها ، وهي حسنة عامرة أهلة كثيرة الديار ، وفيما استدار بها من جميع جهاتها شجر التين المنسوب إليها ، وهو يحمل إلى مصر والشام والعراق وربما وصل إلى الهند ، وهو من أحسن التين طيباً وعذوبة ، ولها ربضان كبيران ، وشرب أهلها من الآبار ، ولها واد يجري في زمان الشتاء وليس بدائم الجري ، وهي من تأسيس الأول) ^(٨) .

أما المسافات بينها وبين ما جاورها من مدن الأندلس ، فبينها وبين قرطبة Cordoba شمالاً مائة ميل ^(٩) ، ومنها إلى المنكب Almunecar ^(١٠) ثمانون ميلاً ، ومنها إلى قرطبة ثمانون ميلاً ، ومنها إلى الجزيرة الخضراء Algeciras ^(١١) مائة ميل ، ومنها إلى إشبيلية ^(١٢) خمس مراحل ، ومنها إلى مريلة Mañbilla ^(١٣) أربعون ميلاً ^(١٤) ، ومنها إلى أرشونة Archidona ^(١٥) ثمانية وعشرون ميلاً ^(١٦) .

أما فتحها فكان أثناء فتح المسلمين لكورة البيرة Elvira ، فعندما تمكن طارق بن زياد من هزيمة ملك القوط الغربيين Viaigoths لودريق في معركة وادي لكة Rio Cuadalete في شوال من سنة ٩٢ هـ / ٧١٠ م اتجه إلى مدينة إستجة ^(١٧) Ecija التي تجمع فيها قسماً من الجيش القوطي ، وبعد هزيمتهم قرر التقدم والزحف

مباشرة إلى طليطلة Tolodo عاصمة القوط الغربيين ، وقبل أن يشرع في ذلك أرسل فرقاً من جيشه لفتح بعض المناطق التي تجمع فيها القوط وهي : قرطبة والبيرة (١) ومالقة Malaga وتدمير (٢) Tudmir (٣)

أما بالنسبة للجيش المتجه نحو البيرة فتمكنوا من فتح مدينتها ثم فتحو غرناطة Granada ثم مضوا إلى تدمير (٤) ، ثم فتح سائر الجيوش ما قصدوا إليه من البلاد (٥) ، وأشار ابن عذاري إلى أن طارق بن زياد بعث إلى مالقة (من إستجة جيشاً ، وقوّد عليه قائداً ، وجعل معه دليلاً من رجال يليان ، فاستفتحها وجميع أعمال رية) (٦) ، ويمكن القول إن ذلك كائن في أواخر سنة ٩٢ هـ / ٧١٠ م ، لأن معركة وادي لكة التي انهزم فيها القوط كما قال المقري : (كانت الملاقاة يوم الأحد لليلتين بقيتا من شهر رمضان ، فاتصلت الحرب بينهم إلى يوم الأحد لخمس خلون من شوال بعد تتمة ثمانية أيام ، ...) (٧) ، وكان فتح قرطبة في شوال من السنة نفسها (٨) ، ولما كان طارق في طليطلة أوائل سنة ٩٣ هـ / ٧١١ م (٩) ، فهذا يعني أن دخول مالقة في حكم المسلمين كان في المدة بين شوال وذي الحجة من سنة ٩٢ هـ / ٧١٠ م .

ويبدو أن كورة رية عاشت هادئة بعيدة عن الأحداث الكبيرة حتى منتصف القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ولعل ذلك راجع إلى قربها من قرطبة وقوة الدولة وحكامها آنذاك ، وبعد ثورة ابن حفصون (١٠) سنة ٢٦٧ هـ / ٨٨٠ م تمكن من بسط نفوذه على مناطق واسعة ومن ضمنها كورة رية (١١) حتى تمكن عبد الرحمن الثالث من استرجاعها سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م (١٢) .

وبعد سقوط الدولة العامرية وظهور في الأندلس ما يسمى بالفتنة (١٣) في بداية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي وما تلاها من سقوط الخلافة الأموية سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣٠ م بدأ عصر جديد في الأندلس أطلق عليه المؤرخون عصر دويلات الطوائف Taifas, Los (٤٢٢-٤٨٤ هـ / ١٠٣٠-١٠٩١ م) ، وهكذا انقسمت الأندلس على دويلات فكانت مدينة مالقة ضمن دولة بني حمود العلويين (١٤) الذين تسلموا مالقة من واليها عامر بن فتوح الفائقي مولى الخليفة الحكم المستنصر ووزير ولده المؤيد وذلك سنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م (١٥) ، واستمر حكمهم بها حتى انتزعها منهم باديس بن حبّوس الصنهاجي (١٦) سنة ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م (١٧) ، وضمها إلى دولة بني مناد في غرناطة (١٨) وكان عليها في آخر أيامهم تميم بن بلقين الصنهاجي (١٩) حيث انتزعها منه المرابطون Almoravides, Los سنة ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م (٢٠) ، واستمرت مالقة تحكم من المرابطين حتى دخول الموحدين Almohades, Los إليها سنة ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م (٢١) .

ولكن اضطراب الأمور في أواخر أيام الدولة الموحدية أدى إلى قيام ثورات عديدة في الأندلس ولاسيما في وسط وشرق الأندلس ، وبقدر ما يتعلق الأمر بمدينة مالقة فإن أشهرها تلك التي قادها محمد بن يوسف بن هود الجذامي ومحمد بن يوسف بن الأحمر ، وكان الأول قد ثار على الموحدين سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م في شرق الأندلس وسرعان ما تمكن من السيطرة على معظم مناطق الأندلس في الوسط والشرق وحاول مدّ نفوذه إلى الغرب الأندلسي وغدا أكبر الثوار الذي سيوحد الأندلس على يديه (٢٢) ، أما الثاني فدعا لنفسه وبويع أولاً في أرجونة Arjona (٢٣) موطن أسرته وأنصاره وفي المناطق القريبة منها وذلك سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م (٢٤) ، ومن أرجونة أخذ ابن الأحمر يوسع نفوذه ، ففي سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م تمكن من الدخول إلى مدينة جيان Jaen وقرطبة وبعض مناطق غرب الأندلس (٢٥) ثم أطاعته أهالي مدينتي بسطة Baza ووادي

آش Guadix () ، وبعد مواجهات بين ابن الأحمر وابن هود () انحسر نفوذ الأخير وتمكن ابن الأحمر من دخول غرناطة سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م واتخذها قاعدة لملكه () ، عندها أرسل أهل مالقة وفداً إلى غرناطة وذلك سنة ٦٣٦ هـ / ١٢٣٨ م ودخلوا في طاعته () ، وبذلك غدت مالقة من أملاك بني الأحمر .^٤

المبحث الثاني : الهجوم الأول على مالقة سنة ٨٨٨ هـ / ١٤٨٣ م

شهدت المرحلة الأخيرة من حياة سلطنة غرناطة (٨٦٨ - ٨٩٧ هـ / ١٤٦٣-١٤٩١ م) استفحال الصراع الأسري بين حكام بني الأحمر () حتى صفت إلى السلطان أبي الحسن علي بن سعد بن الأحمر الذي طال حكمه للمدة (٨٦٨-٨٨٧ هـ / ١٤٦٣-١٤٨٢ م) ، وقد شهدت الأيام الأخيرة من عهده اضطراب أمور دولته ، إذ (اشتغل بالذات والإنهماك في الشهوات واللّهو بالنساء المطربات وركن إلى الراحة والغفلات وضيع الجند وأسقط كثيرا من نجدة الفرسان وثقل المغارم وكثر الضرائب في البلدان ومكس الأسواق ونهب الأموال وشح بالعباء إلى غير ذلك من الأمور التي لا يثبت معها الملك) () .^٩

وفي المقابل شهدت العلاقات بين مملكتي قشتالة Castilla وأراغون Aragon تطوراً مهماً كان له أسوأ الأثر على مستقبل مسلمي الأندلس ، ففي سنة ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م تزوجت إيزابيلا بنت خوان الثاني ملك قشتالة وأخت الملك هنري الرابع (٨٥٩-٨٧٩ هـ / ١٤٥٤-١٤٧٤ م) من فرناندو بن خوان الثاني ملك أراغون (٨٦٣-٨٨٤ هـ / ١٤٥٨-١٤٧٩ م) ، وعندما توفي هنري الرابع بدون وريث للعرش توجت أخته إيزابيلا لعرش قشتالة ، كما ورث فرناندو الأراغوني أباه عند وفاته ، فكان ثمره ذلك الزواج أن اتحدت المملكتان قشتالة وأراغون () ، ولقبا بالملكين الكاثوليكيين () .^{١٠}

ثم حصل تطور خطير على الساحة السياسية في غرناطة هو الفقرة التي حدثت بين السلطان أبي الحسن وولديه أبي عبد الله محمد (الصغير) وأبي الحجاج يوسف ، ويرجع سبب ذلك إلى أن السلطان كان قد تزوج من ابنة عمه عائشة الحرة () فأولدها ولديه أعلاه ، ثم تزوج من فتاة نصرانية تدعى ثريا () وأولدها ابنه سعد ونصر فأوغرت صدره على ولديه من عائشة فاعتقلهما مع أمهما إلا أنهما تمكنا من الفرار والتغلب على السلطة في غرناطة وتربع أبو عبد الله الصغير على عرش غرناطة أواخر سنة ٨٨٧ هـ / ١٤٨٢ م ، وكان السلطان أبو الحسن وقت فرار الأميرة وولديها في لوشة للدفاع عنها ، إلا أنه اضطر إلى تجميع أنصاره مكوناً منهم قوة بلغت خمسمائة شخص زحف بها نحو مدينة غرناطة حيث ابنه أبو عبد الله الصغير ، وتمكن مع رجاله من تسلق أسوار مدينة غرناطة وخاض معركة عنيفة مع أنصار ابنه قتل فيها الكثير من أتباعه مما اضطره إلى التراجع والهرب إلى مالقة حيث أخوه أبو عبد الله محمد بن سعد المعروف بالزغل () .^٤

وقد اغتتم النصارى ذلك الانقسام الذي تزامن مع انقضاء مدة الهدنة التي عقدها السلطان مع قشتالة بمهاجمة أراضي سلطنة غرناطة فاستولوا على مدينة الحمة Alhama وذلك سنة ٨٨٧ هـ / ١٤٨٢ م () ، ثم قام الملك القشتالي بمهاجمة مدينة لوشة Loja القريبة من الحمة إذ أن هاتين المدينتين تمهدان الطريق إلى غرناطة ، ولكن السلطان أبو الحسن تمكن من هزيمة القوات القشتالية () .^٦

عندها قرر الملك القشتالي الانتقام من الأمير أبي الحسن ومهاجمة مالقة والاستيلاء عليها ثم لتطويق الأندلس من الجنوب (١) ، وكان في مالقة أخ الأمير أبي الحسن وهو محمد بن سعد الزغل الذي أخذ يستعد للدفاع عنها ، وفي صفر من سنة ٨٨٨ هـ / ١٤٨٣ م هاجمت قوات قشتالة مدينة مالقة فكمن لهم المسلمون في الطريق وأثاروا الرعب في نفوسهم ثم خرج لهم الأمير الزغل (فلقى النَّصَارَى من ناحيته فقتل وأسر مِنْهُمْ أَيْضاً خلقاً كثيراً وولوا الأدبار وأسر مِنْهُمْ ما ينيف على ألفي أسير فيهم جماعة من قوادهم وأقنادهم وهرب باقيهم وتركوا خيلهم ودوابهم ورجالهم وأمتعتهم فاحتوى على ذَلِكَ كُلِّهِ الْمُسْلِمُونَ وَحَمَلُوهُ إِلَى مَدِينَةِ مالقة فجمعوه بها على أن يقسموه على كل من حضر) (٢) .

وكان صدى هذا النصر كبيراً وارتفعت شعبية السلطان أبو الحسن وأخوه الزغل بين الناس فيما عيب على أبي عبد الله الصغير خنوعه ، لهذا قرر الأخير القيام بعمل ضد النصاري يعيد إليه شعبيته ، وذلك لأن مكانة أي حاكم آنذاك تقاس بمدى انتصاره على النصاري وصد هجماتهم (٣) ، فخرج الأمير أبو عبد الله الصغير بأهل غرناطة وهاجم بعض مناطق النصاري ورجع محملاً بالغنائم وعندما وصل بجيشه إلى اللسانة Lucena (٤) خرج عليهم كمين من النصاري فانهزم المسلمون وتبعهم النصاري قتلاً وأسرًا وكان من بين الأسرى الأمير نفسه (٥) ، وقد استغل الملك القشتالي حالة الفوضى التي حلت في صفوف المسلمين وحالة الزهو التي تمتع بها جيشه فهاجم العديد من الحصون والمدن المحيطة بغرناطة ، ففي الغرب استولى على حصن قرطمة ودكوبن سنة ٨٩٠ هـ / ١٤٨٥ م ، وفي السنة نفسها استولى على رندة Ronda ثم حصن قنبيل وما جاوره من الحصون (٦) ، وكان استيلاء النصاري على هذه الحصون ولاسيما رندة جعلهم يشرفون على مدينة مالقة من الغرب (٧) .

وكان الأمير أبو الحسن قد طعن في السن وأعياه المرض فتنازل لأخيه أبي عبد الله الزغل حاكم مالقة (٨) ، وفي محاولة من ملكي قشتالة تعميق الانشقاق بين أقطاب السلطة في غرناطة أفرجا بعد ذلك عن أبي عبد الله الصغير بعد أن أخذوا عليه الموائيق بتبعيته لهم مع جزية سنوية (٩) ، وهكذا أصبح لغرناطة حاكمين من بني الأحمر حيث استقر أبو عبد الله الصغير في المناطق الشرقية ، فيما حكم عمه أبو عبد الله الزغل غرناطة ومالقة والمرية Almeria (١٠) ، وفيما كانت نار الفتنة قائمة بين الخصمين كانت جيوش قشتالة قد استولت على العديد من المدن والحصون وأخذت تُضَيِّقُ الخناق على غرناطة (١١) ، ففي جماد الأولى سنة ٨٩٢ هـ / ١٤٨٦ م تمكنوا من السيطرة على لوشة الواقعة إلى الشمال من مالقة وأسروا فيها للمرة الثانية الأمير أبي عبد الله الصغير (١٢) .

ومن أجل إذكاء نار الفتنة بين قطبي الصراع على الحكم في غرناطة بين أبي عبد الله الصغير وعمه أبي عبد الله الزغل ، وبينما كان الأخير في غرناطة ، أطلق الملك القشتالي أبا عبد الله الصغير وأمه بقوة استطاع بها إزاحة عمه ، وخلال الصراع بين الجانبين داخل غرناطة استغل الملك القشتالي الفرصة وأرسل بقواته نحو حصن بلش مالقة (Vélez Malaga) والذي يُعد خط الدفاع الأول عن مالقة وسقوطه يعرض مالقة للخطر (١٣) ، وأدرك الزغل ذلك فخرج مع بعض قواته للدفاع عن الحصن وترك البعض الآخر يصارع ابن أخيه في غرناطة ، إلا أنه لم يتمكن من إنقاذ الحصن فسقط بيد النصاري وذلك في ربيع الآخر من سنة ٨٩٢ هـ / ١٤٨٦ م ، وقد علق مؤلف مجهول على ذلك بقوله : (فَلَمَّا كَانَ النَّصَفُ مِنْ شَهْرِ ربيع الثاني عام اثْنَيْنِ وَتَسْعِينَ

وثمان مئة خرج الطاغية بمحلته إلى أرض المسلمين قاصداً مدينة بلش مالقة وكانت على ذمة أمير غرناطة فنزلها فلما سمع ملك غرناطة بنزوله على مدينة بلش ندب أهل غرناطة ومن أطاعه من أهل تلك الجهات وترك طائفة تقاتل أهل البيازين وخرج يريد نصرة أهل بلش وذلك يوم السبت الرابع والعشرين لربيع الثاني من عام التاريخ المذكور قبل فلماً سار قريباً منها وجد العدو قد سبقه بالنزول عليها ودار بها من كل الجهات ... فبينما هم سائرون إذ قامت كرة ودهشة فأنهزموا في ظلام الليل من غير لقاء عدو ولا قتال فرجعوا منهزمين مفلولين إلى محلته فباتوا ليلتهم تلك وفي الغد أتاهم الخبر أن العدو استخلص مدينة بلش فسقط في أيديهم وانهزموا من غير قتال ورجع كل واحد منهم إلى وطنه () ، وعندما أراد الزغل الرجوع إلى غرناطة وصله خبر انهزام جنده فيها وسيطرة ابن أخيه أبي عبد الله الصغير عليها مما اضطره التوجه إلى وادي آش () .

وأشار إيرفنج () إلى أن الملك القشتالي وضع شروطاً مقبولة لاستسلام حصن بلش مالقة فسمح للسكان بمغادرتها مع أغراضهم أو أن يبقوا في أي مكان من قشتالة كل ذلك لأنه كان متشوقاً للوصول إلى مالقة والانتقام لهزيمته الأولى فيها ، وأضاف إلى أنه تبع سقوط حصن بلش مالقة أن أرسل حوالي أربعين مدينة من مدن البشارات طاعتهم للملك القشتالي () .

المبحث الثالث : الهجوم الثاني وسقوطها النهائي سنة ٨٩٢ هـ / ١٤٨٦ م

كان تركيز الملك القشتالي على مالقة كونها عقدة الوصل الأخيرة بين الأندلس والمغرب لاسيما بعد سقوط جبل طارق سنة ٨٦٧ هـ / ١٤٦٢ م () فحرص للاستيلاء عليها من أجل قطع الإمدادات التي تصل الأندلس من المغرب () ، كما أن مدينة مالقة بعد سقوط كل من جبل طارق وحصن بلش مالقة أصبحت محاطة بالقوات النصرانية من الشرق والغرب ولم يبق لها إلا منفذها الوحيد على البحر .

وفي جمادي الثانية من سنة ٨٩٢ هـ / يونيو ١٤٨٦ م أرسل الملك القشتالي قواته لمحاصرة مدينة مالقة من البر والبحر ، وكانت مالقة آنذاك تابعة للأمير الزغل الذي كان في وادي آش فلم يتمكن من إنجادها خوفاً من ابن أخيه ، وحسب الرواية النصرانية فإن الملك القشتالي أرسل إلى حامد الذعري (الثغري) () قائد المدافعين عن مالقة ومن الموالين للأمير الزغل يطلب منه التخلي عن مالقة مقابل أن يعطيه مدينة كوين له ولسلته كما عرض عليه وعلى أنصاره الأموال لقاء ذلك إلا أن القائد المسلم حامد الذعري رفض ذلك ، فأرسل إليه الملك القشتالي أن المقاومة تعني اقتحام المدينة والعبودية لكل سكانها () .

وهكذا بدأ الحصار الشامل على مالقة من البر والبحر وذلك في شعبان من سنة ٨٩٢ هـ / ١٤٨٦ م حسب رواية صاحب نبذة العصر إذ وصف حصار المدينة وسقوطها بقوله : (فلما استخلص العدو مدينة بلش سار بمحلته نحو مدينة مالقة فنزل عليها وقاتلها قتالاً شديداً وحاصرها حصاراً عظيماً لم ير مثله وأحاط بها من كل جانب ومكان برّاً وبحراً فتحصن أهل مالقة ببلدهم وأظهروا ما كان عندهم ومعهم من السلاح والعدة والأنفاط وكان فيهم جملة من نجدة الفرسان فقاتلوا الروم قتالاً شديداً وقتلوا منهم خلقاً كثيراً حتى إنه قتل من الروم في يوم واحد اثنا عشر ألفاً وسبع مئة ومع ذلك بقي العدو يفتح عليهم أبواباً من الحرب والحيل والمسلمون قائمون بحراسة بلدهم ويغلبون عدوهم ويقتلون من قرب إليهم منهم وهم صابرون محتسبون مدة طويلة حتى ضيق عليهم

العدو ودور بالمدينة سوراً من تراب وسوراً من خشب وحفيراً مانعاً ومنع عليهم الدّاخل والدّارج في البر ومنع عليهم في البحر بالمراكب من الدّاخل والدّارج وشد عليهم في الحصار والقتال وهم مع ذلك صابرون محتسبون يُقاتلون أشد القتال ولا يظهرون جزعاً ولا هلعاً ولا يطمعون العدو في شيء مما يرومه منهم حتى نفذ ما عندهم من الأطعمة والزاد وأكلوا ما كان عندهم من المّواشي من خيل وبغال وحمير وكلاب وجلود وورق الشجر وغير ذلك من الأشياء التي يمكن أكلها حتى فني ذلك كله وأثر فيهم الجوع أثراً عظيماً ومات كثير من نجدة رجالهم الذين كانوا يوالون الحزب والقتال فحينئذٍ أذعنوا وطلبوا الأمان فاحتال عليهم العدو حتى دخل البلد بمكر ومكيدة وأسرهم كلهم وسبى نساءهم وأولادهم واحتوى على جميع أموالهم وفرقهم على أهل دخلته وقواده وكان مصابهم مصاباً عظيماً تحزن له القلوب وتذهل له النفوس وتنوب وتبكي مصابهم الغيئون بالدماء فأنا لله وإنا له راجعون وكان استيلاء العدو على مدينة مالقة في أواخر شعبان عام اثنين وتسعين وثمان مئة () .

أما الرواية النصرانية عن سقوط مالقة فأشارت إلى أنه بعد أن فشلت المساعي أمر الملك القشتالي فرناندو قواته المدعومة بقطعات صليبية جاءت من بلاد الغال ، بتحريك المدفعية نحو المدينة لقصفها من البر والبحر ، ثم تدفق الجيش الصليبي نحو أسوار المدينة وقام الأسطول بإغلاق المنافذ من جهته ، وخلال التجهيزات أخذ المسلمون يطلقون النار على مواقع الجيش الصليبي حتى أنهم أصابوا الخيمة الملكية التي كانت بمرمى بطاريات المدفعية العربية لذا تم نقلها إلى خلف الجبل ، وحين تمت التحضيرات فتحت القوات الصليبية نيران بطارياتها على المدينة في اللحظة التي أخذ الأسطول يهاجمها من البحر ، وقد علق الأب أنطونيو آغابيدا (وكان شاهد عيان) على ذلك المنظر بقوله : (لقد كان منظرًا ماجدًا ودقيقًا بالإطباق على هذه المدينة اللامؤمنة من البر والبحر معاً ، بهذا الجيش المسيحي القوي الجبار ، فكل استحكام داخل دائرة هذا الجيش صار يحمل إشارة محارب كاثوليكي بطل ، بقصفه) () .

واستمر القصف متبادلاً بين الجانبين وهو يحصد الأرواح وكان منظر القصف في الليل مريعاً أكثر من النهار بسبب لمع المدافع وومضات شهب العرادات وأضواء البيوت المشتعلة ، والمدفعية التي لا تهدأ من مدافع النصراني والرد عليها من مدافع العرب ، وقد وصف الأب آغابيدا بسالة المدافعين المسلمين بقوله : (يبدو أن الكثير من الشياطين قد تقمصت أشكال البشر ، وقد سمح لها أن تنزل من السماء لتدخل بحيازة سكان هذه المدينة التي تظهر بناسها اللامؤمنين) () .

وأمام القصف والقصف المضاد واستبسال المسلمين في الدفاع مع كثرة الخسائر بالأرواح بين الجيش الصليبي فشت شائعات بأن المسلمين سيكسبون المعركة وأن الملكة إيزابيلا طلبت من الملك فرناندو الانسحاب خوفاً عليه وعلى الجيش ، ورداً على هذه الشائعات فقد أرسل الملك إلى الملكة أن تحضر بنفسها إلى خيمته وتقيم معه في حصار المدينة وبذلك ارتفعت معنويات الجيش الصليبي ، ولإثبات أن زيارتها غير مؤقتة اصطحبت معها ابنتها الصغيرة وكثير من حاشيتها ، ثم طلبت الملكة من المدفعية وقف إطلاق النار وعرضت على المقاومين من المسلمين الاستسلام الفوري وإلا فإن الجميع سيكون مصيرهم الرق أو القتل ، ولما رفض المسلمون العرض استمر القتال والقصف بلا هوادة ولكن دون أن يتمكن كلا الطرفين هزيمة عدوه بشكل كامل () .

وتضيف الرواية النصرانية أنه بسبب الخسائر التي مُني بها الطرفين فقد تلقى الجيش القشتالي دعماً من جميع أنحاء أسبانيا من البر كما جاءت إمدادات من البحر بالعتاد والأسلحة والرجال من البندقية وجنوة وصقلية والبرتغال Portugal وهو مما عزز مواقعه بقوات جديدة ورفع من معنويات مقاتليه ، أما الجانب الإسلامي المتمثل بأهالي مالقة فلم يتلقوا أي دعم خارجي بسبب تقوقع أبي عبد الله الزغل في وادي آش وعدم تمكنه من المغادرة إلا أنه وتحت ضغط أهالي وادي آش أرسل قوة صغيرة لمساعدة مالقة فاعترضتها قوة أرسلها أبو عبد الله الصغير من غرناطة ولم تمكنها من الوصول إلى مالقة وذلك لإظهار ولائه للملك النصراني ، وقد وصف المؤرخ النصراني إيرفنج عمل أبو عبد الله الصغير هذا بالقول : (وهكذا ظل بيدول حقيراً حتى في انتصاره ، فهزيمته لقوات عمه التي خرجت لنجدة ملقة أطفأت ولاء اقرب الناس إليه) (١) ، والحق ما شهدت به الأعداء ، فالرواية النصرانية هنا عابت على الأمير أبي عبد الله الصغير الوقوف معهم ضد عمه الأمير أبي عبد الله الزغل وأبناء جلدته من المسلمين ولم يمكن المساعدات من الوصول إلى مالقة .

وأمام هذه الأوضاع المأساوية في مالقة من شدة الحصار وتزايد الأعداء وتناقص المؤن ، سيطر شبح المجاعة على المدينة ، وصار الناس يأكلون خيولهم ، ومما زاد في معاناتهم رؤية السفن محملة بالمواد التموينية تنهال على أعدائهم وهم في وسط المدينة يتضورون جوعاً (٢) ، وعلى الرغم من ذلك لا يزال الأهالي صابرون صامدون ، وقد عزا الأب آغايدا ذلك الصمود وعدم قدرة القوات الصليبية وما تكبدته من خسائر إلى ما عند المسلمين (من أدوات شيطانية أخرى لإلحاق الهزيمة بالأسطول والجيش المسيحي ، حين أي هجوم منهم على العرب) (٣) ، كما وصف القائد حامد الذعري بقوله : (ولذلك صار قلب حامد قوياً كالصخر مثل فرعون آملاً بإنزال الهزيمة بكل الكاثوليك وجيشهم وكل قديسيهم المحاربين) (٤) .

وفي محاولة أخيرة قرر أهالي المدينة بقيادة حامد الذعري القيام بهجوم كبير على المعسكر الصليبي لفك الحصار الخانق عليهم ، فقاموا بهجوم مباغت من كل الاتجاهات وتمكنوا من قتل وجرح العديد من الجند الصليبي ، وقد وصف إيرفنج الهجوم بقوله : (فاندفعوا نحو موت محتم ، وهم يقتحمون بجنون الخنادق والمتاريس الترابية والقوات المتراسة لصددهم ، ويسقطون بما يتساقط عليهم من رصاص ونبال ورماح بكثرة المطر ، مما ملأ الخنادق بجثثهم التي تكدست فوق بعضها بعضاً) (٥) .

وهكذا فشلت المحاولة الأخيرة لفك الحصار وتحت ضغط اليأس اجتمع أعيان مدينة مالقة وأرسلوا إلى الملك فرناندو وفداً عارضين عليه الاستسلام وفق شروط محددة ، فرد عليهم الملك بقوله : (ارجعوا إلى أهل بلدكم ، وأخبروهم بأن أيام المنة والشفقة قد ذهبت ، فدفاعكم اللامجدي اضطرنا إلى إسقاط بلدكم بكل الوسائل ، فعليكم الاستسلام بدون شرط الآن ، والخضوع لقدركم بأن تُدمروا ، فمن يفضل الموت منكم سيلاقي الموت ، والذي سيقبل بذل الأسر سيعاني منه) (٦) .

ثم أمر الملك القشتالي قواته بفتح نار المدفعية والأسلحة جميعها على المدينة وتهديمها ، عندها أرسل أهل المدينة إلى الملك فرناندو (يطلبون منه الحفاظ على حياتهم كي يسلموه البلد ، وأن يخرجوا منها أحراراً ، وإذا رفض طلبهم هذا سيشتقون على أسوار المدينة ومواقع القتال فيها ألف وخمسمئة أسير نصراني من الرجال والنساء ، وسيدعون كل أطفالهم وشيوخهم ونسائهم في القلعة ليشعلوا النار بالبلد ، ثم يخرجون للقاء الصليبيين

بسيوفهم ليقاتلوهم حتى النهاية ، وبهذه الطريقة سيربح الأسبان نصراً دموياً يسجله التاريخ عاراً عليهم على مدى الدهر) ، فردّ الملك فرناندو على هذا بقوله : (إن جرح أي أسير مسيحي يعني أنه لم يبق أي عربي مسلم بعده في ملقا بدون أن يضع السيف على رقبتة) (٨) .

وأمام إصرار الملك القشتالي (كما تقول الرواية النصرانية) اندفعت قواته نحو المدينة الهزيلة المتعبة والخاوية على عروشها ورُفِعَ علم الصليب على برج المدينة ، عندها ركعت الملكة وكل أفراد حاشيتها لإعطاء الشكر لمريم العذراء على هذا النصر العظيم ، وارتفع صوت جوق النصر من الآباء والرهبان الحاضرين والشمامسة في كنيسة الملكة أغنية النصر على الإسلام " Te Deum " وبالاسبانية " Te Deum Laudamus " أي المجد للصليب في السماء ولا للإسلام أو الهلال (٩) .

أما مصير حامد الذعري فقد اقترح الأب آغايبدا على الملك بقوله : (نتيجة الحقد الشيطاني وعناد هذا اللامؤمن ضد قضيتنا المقدسة ، فكان على العقل الراجح لمليكن الكاثوليكي أن يوقع عليه الجزاء العادل الذي يستحقه ، لذلك أمر فرناند أن يوضع بأغلال ثقيلة ، ويلقى في زنانات النقيش) (١٠) .

ثم توجهت الملكة برفقة الكهنة إلى المسجد الجامع وتم تحويله إلى كنيسة ، وبخصوص أهالي مالقة المسلمون فقد قسموا إلى ثلاثة جماعات ، الأولى : تخدم الرب بخدمة أبنائه النصارى ، والثانية : تُعطى لقاء لمن ساعد في الفتح من الجيوش المسيحية غير الاسبانية ، والثالثة : تباع في الأسواق ، ويُعطى ريعهم إلى حضرة البابا إينوسنت الثامن (١١) ويساقون في احتفالات النصر في شوارع روما قبل بيعهم (١٢) ، وبناءً على هذا تم إهداء ملكة نابولي بايطاليا خمسين سيدة مسلمة كرقيق وأرسلت ثلاثين سيدة أخرى إلى ملكة البرتغال ثم راحت الملكة تهدي أجمل الأسيرات إلى المقربين منها (١٣) .

وقد وصف إيرفنج حالة أهل مالقة بعد السقوط بيد النصارى بقوله : (وهكذا كنت ترى الشيوخ والأطفال والنساء الحسنات ورجال العائلات الثرية وأهلهم محملين بالصناديق نحو القصبية ، بعيون دامعة تنظر إلى السماء بتضرع ، وقد حكم عليهم أن يتشردوا في البلاد ، دون أن يعرفوا ما حلّ بأهلهم حين بيعوا في الأسواق ، أو تبادلهم الأثرياء النصارى كهدايا وأقنان ، وقد حيل في كثير من الأحيان بين الأم وطفلها ، كما تنفرك الأرواح من أبدانها ، أو اغتصبت طفلة أمام ناظر أبويها في زوايا الشوارع المعتمدة للقصبية ، والملكة تسكن في القصبية مع خليلها ، وتسمع صرخ الضحايا ، وهكذا مزقت عائلات عن بعضها كي لا تجتمع ثانية مدى الدهر ، الآباء عن أبنائهم ، والنساء عن أزواجهن ، والأمهات عن أطفالهن ، وحرزنهم وألمهم هو مجال سخرية أعدائهم النصارى ، ودافع لهم كي يعتدوا عليهم أكثر ، من منطق أن الخضوع يزيد من شراسة الغالب ، ياملقة من يقدر أن يرى ما حصل بك دون أن تغرور عيناه بالدمع والحزن المرير المؤلم) (١٤) .

كما وصف المؤرخ النصراني إيرفنج حالة أهالي المدينة وهو يظهر تعاطفه معهم ويلوم الملك والقس المقرب منه آغايبدا على فعلتهم غير الإنسانية بأهالي مالقة بقوله : (وهكذا ظل هؤلاء التعساء كلهم يزدحمون في قصبية المدينة وشوارعها الضيقة وساحاتها كقطعان من الغنم ، إلى أن يتم ترحيلهم بالبر والبحر إلى إشبيلية ويوزعوا هناك بين المدن والقرى ، لتأخذ كل أسرة مسيحية واحداً أو أكثر منهم كعبيد لها ، حتى تنتهي مدة دفع الجزية ، فتعطى الأسر التي استرققتهم الإذن بإبقائهم عبيداً عندها ، وعن كل أسرة عربية أسيرة يذهب فرداً واحداً

من أفرادها إلى مملكة غرناطة ليجمع الفدية لكي يشتري حرية باقي أسرته من الأسر ، ولكن هذه المملكة كانت في الواقع قد أفقرت إلى حد استحالة أن تدفع أي دية ، أو يستمتع الناس فيها إلى أي طلب من هذا النوع ، لذا انتهى الوقت المحدد دون أن تكتمل جزية أي فرد ، وكل أسرى ملقا بلا استثناء ، أي حوالي خمسين ألف إنسان صاروا عبيداً ، وعلى هذا لم يعلق الأب الفاضل الأب آغابيدا ، كما لم يبرر فعلة أسياده ملوك قشتالة هذه ، ولاذ بالصمت عن سرقة نصف الدية من ملوك الكاثوليك ، مع حيازة أرواح ومقادير أسراهم كجزء من صفقة الغبن العلجية هذه ، لتسجل على أنها من أعظم انتصارات ملكي الكاثوليك ، والتي رفعت فرناند عند البابا إلى منزلة الفاتح العظيم ، الذي يستطيع ربح النصر ، ولكنه يعتمد الخطأ في تدبير شروط نتائجه ، وعلى هذا غض التاريخ المسيحي نظره () .

وبهذه النهاية المأساوية سقطت مالقة بعد أن حكمها المسلمون مدة ٨٠٠ سنة ، وكان من أهم نتائجها أن صار القسم الغربي من سلطنة غرناطة بيد القوات النصرانية ، كما قطعت صلة غرناطة من ناحية البحر بالعدوة المغربية ، وهو ما مهد السبيل لملكي قشتالة الكاثوليكين من اجتياحها بعد بضع سنوات .

الخاتمة :

تقع مدينة مالقة على ساحل البحر المتوسط المقابل لبر العدو المغربية ، فتحها المسلمون سنة ٩٢ هـ/ ٧١٠ م ، ثم تعاقب عليها ولاية الدولة الإسلامية في الأندلس طيلة مدة حكمهم لها حتى سقوطها بيد النصارى سنة ٨٩٢ هـ/ ١٤٨٦ م والتي استمرت ٨٠٠ عام .

ولما كان فتح المسلمين لها سهلاً وسلساً ولم ترق فيه الدماء ، كان السقوط بيد النصارى على عكسه تماماً ارتكبوا فيه أبشع أنواع القتل والطغيان والاستغلال الذي تندى له جبين الإنسانية حيث لا إنسانية آنذاك .

وكان حكام قشتالة قد وجهوا اهتمامهم بمالقة في الأيام الأخيرة من حياة سلطنة غرناطة كونها واحدة من المنافذ التي تربط الأندلس ببر العدو والتي من خلالها تصل الإمدادات إلى غرناطة فهاجموا المدن والحصون المحيطة بها لاسيما جبل طارق في الغرب ورندة في الشمال وحصن بلش مالقة في الشرق ، ولما تم لهم عزلها هاجموا سنة ٨٨٨ هـ/ ١٤٨٣ م إلا أن أهالي المدينة بقيادة حاكمها الأمير أبي عبد الله الزغل تمكنوا في صد الهجوم ، ثم عاودوا الهجوم مرة أخرى سنة ٨٩٢ هـ/ ١٤٨٦ م وتمكنوا من اقتحامها مرتكبين فيها أبشع الجرائم بحق سكانها تندى له جبين الإنسانية على مر العصور ، علماً أن تلك الجريمة لم تكن الوحيدة التي ارتكبها نصارى قشتالة بحق المسلمين فالمشهد يتكرر مع دخولهم كل مدينة من مدن الأندلس ، ومن هنا ندعو الباحثين دراسة ذلك لكشف زيف دعاة الإنسانية والديمقراطية التي يروج لها الغرب الآن والتي أقامها على أشلاء الأبرياء .

هوامش البحث:

- ١ () ياقوت ، الأندلس من معجم البلدان ، ص ٢٥٥ ؛ المراكشي ، المعجب ، ص ٢٦٦ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص ٥١٧ .
- ٢ () البكري ، المسالك والممالك ، ٧٦٣/٢ ؛ الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ٥٨١/٢ .
- ٣ () ياقوت ، الأندلس من معجم البلدان ، ص ٢٥٥ .
- ٤ () ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص ٢٥ ؛ ياقوت ، الأندلس من معجم البلدان ، ص ٢٥٥ ؛ مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس ، ص ١٢٢ .
- ٥ () المراكشي ، المعجب ، ص ٣١ .
- ٦ () ابن سعيد ، المغرب في حلي المغرب ، ٤٢٢/١ .
- ٧ () نزهة المشتاق ، ٥٧٠/٢ .
- ٨ () الروض المعطار ، ص ٥١٧ .
- ٩ () الميل يساوي ٢ كم ، ينظر : هنتس ، المكايل والأوزان الإسلامية ، ص ٩٥ .
- ١ () وهو مدينة على ساحل الأندلس بينه وبين غرناطة أربعون ميلاً ، ينظر : ياقوت ، الأندلس من معجم البلدان ، ص ٢٧٨ .
- ١ () وهي مدينة بالأندلس على البحر مقابلة لبر العدو وأعمالها متصلة بشذونة ، ينظر : ياقوت ، الأندلس من معجم البلدان ، ص ١٠٨ .
- ١ () وهي مدينة كبيرة بالأندلس تقع غربي قرطبة بينهما ثلاثون فرسخاً وهي قريبة من البحر ، ينظر : ياقوت ، الأندلس من معجم البلدان ، ص ٣٢ .
- ١ () المرحلة تساوي أربعة وعشرون ميلاً ، ينظر : الشربيني ، مغني المحتاج ، ٥٢١/١ .
- ١ () وهي مدينة تقع جنوبي غربي مالقة ، ينظر : الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ٥٧٠/٢ .
- ١ () الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ٥٧٠/٢ .
- ١ () وهي مدينة من أعمال رية قبلي قرطبة ، ينظر : ياقوت ، الأندلس من معجم البلدان ، ص ٢٦ .
- ١ () الحميري ، الروض المعطار ، ص ٥١٨ .
- ١ () وهي مدينة بالأندلس بين القبلية والمغرب من قرطبة بينهما عشرة فراسخ ، ينظر : ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص ٢٦ .
- ١ () وهي كورة كبيرة في الأندلس بين القبلية والشرق من قرطبة ، ينظر : ياقوت ، الأندلس من معجم البلدان ، ص ٤٠ .
- ٢ () وهي كورة بالأندلس متصلة بكورة جيان والى الشرق من قرطبة ، ينظر : ياقوت ، الأندلس من معجم البلدان ، ص ١٠١ .
- ٢ () لمزيد من التفاصيل ينظر : مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ١٩ ؛ ابن الأثير ، الأندلس من الكامل في التاريخ ، ص ٤١-٤٤ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١١/٢ ؛ ابن الخطيب ، الإحاطة ، ١٨-١٩ .
- ٢ () مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٢٢-٢٣ ؛ ابن الخطيب ، اللوحة البديرة ، ص ١٦ ؛ الإحاطة ، ١٩/١ .
- ٢ () ابن الأثير ، الأندلس من الكامل في التاريخ ، ص ٤٤ .
- ٢ () البيان المغرب ، ١١/٢ .
- ٢٥ () نفح الطيب ، ٢٥٩/١ ؛ ينظر أيضاً : ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٨/٢ .
- ٢ () ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٩-١٠ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ١٢/٣ .
- ٢ () الحميري ، الروض المعطار ، ص ٣٩٤ .

- (٢) عمر بن حفصون كان من المولدين ثار بالأندلس بإقليم رية سنة ٢٦٧ هـ / ٨٨٠ م واستمرت ثورته حتى عهد الناصر إذ تمكن من القضاء عليه ، وكانت وفاته سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م ، ينظر : ابن حيان ، المقتبس ، (للحقبة ٢٧٥-٣٠٠ هـ / ٨٨٨-٩١٢ م) ص ٧٢-٧٧ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٠٤/٢ وما بعدها ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ٣٢/٢ - ٣٥ .
- (٢) ابن الخطيب ، الإحاطة ، ٢٦/٤ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ١٦٨/٤ .
- (٣) ابن حيان ، المقتبس (للحقبة ٣٠٠-٣٣٠ هـ / ٩١٢-٩٤١ م) ، ص ٦٥ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ١٧٤/٤ ؛ عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ٣٧٧/١ .
- (٣) يقصد بالفتنة هي المدة التي تلت سقوط الدولة العامرية سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٨ م حتى نهاية الخلافة الأموية في الأندلس سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣٠ م ، ينظر : العذري ، ترصيع الأخبار ، ص ١٦ ؛ المراكشي ، المعجب ، ص ٧١ ؛ ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، ١٥٥/١ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢٥٣/٢ .
- (٣) وهم بنو حمود بن ميمون بن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب ، ينظر : ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ١٢١/٢ .
- (٣) ابن الأثير ، الأندلس من الكامل في التاريخ ، ص ٢٤٦ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١١٦/٣ ؛ عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ٦٥٩/١ .
- (٣) حكم باديس دولة بني مناد في غرناطة من سنة ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ م حتى سنة ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م ، ينظر : ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ٢١٢-٢١٠/٢ .
- (٣) أشار ابن الأثير إلى أن باديس دخل مالقة سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م وانتهى فيها حكم الادارسة العلويين ، ينظر : الأندلس من الكامل في التاريخ ، ص ٢٨٦ .
- (٣) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢١٨/٣ ، ٢٦٦ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ١٣٨/٢ .
- (٣) حكم عبد الله بن بلقين الصنهاجي دولة بني مناد من سنة ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م حتى سنة ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م ، ينظر : ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ٢١٤-٢١٢/٢ .
- (٣) ابن بلقين ، التبيان ، ص ١٦٢ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ٢١٤/٢ .
- (٣) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ٢٣١/٢ ؛ عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ٣٣٦/٣ .
- (٤) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ٢٤٨/٢ ؛ ينظر أيضاً : الإحاطة ، ٧٦/٢ .
- (٤) وهي بلد من ناحية جيان ينسب إليها محمد بن يوسف بن الأحمر ، ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص ٢٨ .
- (٤) ابن عذاري ، البيان المغرب ، قسم الموحدين ، ص ٢٩٦ .
- (٤) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٢٧٥-٢٧٦ ؛ ابن الخطيب ، اللوحة البدرية ، ص ٣١ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ٣٩٥-٣٩٦ .
- (٤) عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ٤١٥/٤ .
- (٤) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٢٧٦ .
- (٤) ابن عذاري ، البيان المغرب ، قسم الموحدين ، ص ٣٤٢-٣٤٤ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ٢١٧/٤ ؛ عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ٤٣٠/٤ .
- (٤) ابن عذاري ، البيان المغرب ، قسم الموحدين ، ص ٣٤٩ .
- (٤) ينظر التفاصيل عن الصراع بين حكام بني الأحمر في تلك الحقبة : الشمري ، العلاقات السياسية لسلطنة غرناطة ، ص ٣٢-١١ .
- (٤) مؤلف مجهول ، نبذة العصر ، ص ٤٥ .

- (٥) عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ١٨٢/٥ ؛ الكتاني ، انبعاث الإسلام في الأندلس ، ص ٤٩ .
- (٥) الكتاني ، انبعاث الإسلام في الأندلس ، ص ٤٩ .
- (٥) وهي عائشة بنت الأمير محمد الأيسر ابنة عم السلطان أبي الحسن علي بن سعد النصري تزوجها سنة ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م وتوفيت في حدود سنة ٨٩٧ هـ / ١٤٩١ م ، ينظر : الدرويش ، أعلام نساء الأندلس ، ص ١٩٣-١٩٦ .
- (٥) وهي جارية رومية كان اسمها إيزابيلا أخذت أسيرة في إحدى المعارك وألحقت وصيفة بقصر الحمراء فاعتنقت الإسلام وتسمت بثريا وكانت حسناء فتعلق بها السلطان وتزوجها وأولدها اثنين هما سعد ونصر ، وبعد سقوط غرناطة لم تغادر الأندلس فقد تنصرت هي وولديها ، ينظر : الدرويش ، أعلام نساء الأندلس ، ص ٩٠-٩١ ، وذكر إيرفنج أن اسمها فاطمة ولقبها الزوراء وهي مسيحية بالولادة ابنة القائد سانشو أكرمينس دي سولي ، أخبار سقوط غرناطة ، ص ٩٦ .
- (٥) المقرئ ، نفح الطيب ، ٥١٤/٤ ؛ عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ٢٠٢/٥ .
- (٥) مؤلف مجهول ، نبذة العصر ، ص ٥٤-٥٦ ؛ إيرفنج ، أخبار سقوط غرناطة ، ص ٩٩ .
- (٥) مؤلف مجهول ، نبذة العصر ، ٥٧-٦٠ ؛ المقرئ ، نفح الطيب ، ٥١٤/٤ ؛ إيرفنج ، أخبار سقوط غرناطة ، ص ٩٩-١٠٣ .
- (٥) عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ٢٠٣/٥ .
- (٥) مؤلف مجهول ، نبذة العصر ، ص ٦٣-٦٤ .
- (٥) إيرفنج ، أخبار سقوط غرناطة ، ص ١٢٠ .
- (٦) اللسانة وهو حصن يقع بالقرب من كورة قبرة ، ينظر : ابن الخطيب ، الإحاطة ، ٢٣/١ .
- (٦) مؤلف مجهول ، نبذة العصر ، ص ٦٥-٦٧ ؛ المقرئ ، نفح الطيب ، ٥١٥/٤ ؛ إيرفنج ، أخبار سقوط غرناطة ، ص ١٢٠-١٣١ .
- (٦) مؤلف مجهول ، نبذة العصر ، ص ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٥ .
- (٦) عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ٢٠٦/٥ .
- (٦) المقرئ ، نفح الطيب ، ٥١٥/٤ .
- (٦) مؤلف مجهول ، نبذة العصر ، ص ٧٦ ؛ إيرفنج ، أخبار سقوط غرناطة ، ص ١٣٥ ؛ عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ٢٠٤/٥-٢٠٥ .
- (٦) مؤلف مجهول ، نبذة العصر ، ص ٧٨ ؛ عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ٢٠٩/٥ .
- (٦) ينظر التفاصيل : مؤلف مجهول ، نبذة العصر ، ص ٧٩ - ٨٤ ؛ عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ٢١٣-٢١٤ .
- (٦) مؤلف مجهول ، نبذة العصر ، ص ٧٩-٨٠ ؛ إيرفنج ، أخبار سقوط غرناطة ، ص ٢١٢-٢١٧ .
- (٦) وهو حصن يقع شرقي مالقة بينه وبين مالقة أربعة وعشرون ميلاً ، ينظر : ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ٢٦٥/٢ .
- (٧) عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ٢١٣/٥ .
- (٧) نبذة العصر ، ص ٨٩-٩٠ .
- (٧) مؤلف مجهول ، نبذة العصر ، ص ٩٠-٩١ .
- (٧) استقى إيرفنج معظم معلوماته من مخطوطة لمؤلف نصراني معاصر للأحداث يدعى أنطونيو آغابيدا ، ينظر : أخبار سقوط غرناطة ، ص ٤٩ .
- (٧) أخبار سقوط غرناطة ، ص ٢٥٣ .
- (٧) ينظر عن سقوط جبل طارق : الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ص ٥٥٠ ؛ عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ١٧٦/٥ ؛ السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب ، ص ٢٩٧ .

- (٧) عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ٢١٦/٥ .
- (٧) حامد الثغري وهو زعيم قبيلة غمارة البربرية كانوا يسكنون في مالقة وتولى زعيمهم الدفاع عنها ضد النصارى ، ينظر : عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ٢١٦/٥ .
- (٧) إيرفنج ، أخبار سقوط غرناطة ، ٢٥٧ .
- (٧) مؤلف مجهول ، ص ٩٢-٩٤ .
- (٨) إيرفنج ، أخبار سقوط غرناطة ، ص ٢٦٠ .
- (٨) إيرفنج ، أخبار سقوط غرناطة ، ص ٢٦١ .
- (٨) إيرفنج ، أخبار سقوط غرناطة ، ص ٢٦٣ - ٢٦٧ .
- (٨) أخبار سقوط غرناطة ، ص ٢٧١ .
- (٨) إيرفنج ، أخبار سقوط غرناطة ، ص ٢٧٣ .
- (٨) إيرفنج ، أخبار سقوط غرناطة ، ص ٢٧٨ .
- (٨) إيرفنج ، أخبار سقوط غرناطة ، ص ٢٧٩ .
- (٨) أخبار سقوط غرناطة ، ص ٢٨٩ .
- (٨) إيرفنج ، أخبار سقوط غرناطة ، ص ٢٩١ .
- (٨) إيرفنج ، أخبار سقوط غرناطة ، ص ٢٩٢ .
- (٩) إيرفنج ، أخبار سقوط غرناطة ، ص ٢٩٤ .
- (٩) إيرفنج ، أخبار سقوط غرناطة ، ص ٢٩٦ .
- (٩) وهو بابا الكنيسة الكاثوليكية الثالث عشر بعد المائتين تولى للمدة من سنة ١٤٨٤ م إلى وفاته سنة ١٤٩٢ م ، ينظر : wikipedia.org .
- (٩) إيرفنج ، أخبار سقوط غرناطة ، ص ٢٩٨ .
- (٩) إيرفنج ، أخبار سقوط غرناطة ، ص ٢٩٨ .
- (٩٥) إيرفنج ، أخبار سقوط غرناطة ، ص ٣٠٠ .
- (٩٦) أخبار سقوط غرناطة ، ص ٣٠٠ .

مصادر ومراجع البحث

أولاً : المصادر الأولية

- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم بن عبد الكريم الجزري (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م)
- ١ - الأندلس من الكامل في التاريخ ، جمعه وحقق نصوصه جاسم ياسين الدرويش ، ط ١ ، دمشق ، ٢٠١٥ م .
- الإدريسي ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحميري الحسني (ت ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م)
- ٢- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط ١ ، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩ م .
- ابن بطوطة ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م)
- ٣- رحلة ابن بطوطة ، الرباط ، ١٤١٧ هـ .
- البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م)
- ٤- المسالك والممالك ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٢ م .
- ابن بلقين ، عبد الله (ت ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م) .
- ٦- مذكرات الأمير عبد الله المسمى بكتاب التبيان ، تحقيق أ . ليفي بروفنسال ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .
- الحميري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت : حوالي ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م)
- ٥- الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٨٠ م .
- ابن حيان ، أبو مروان حيان بن خلف (ت ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م)
- ٦- المقتبس (للحقبة ٢٧٥-٣٠٠ هـ / ٨٨٨-٩١٢ م) ، تحقيق إسماعيل العربي ، ط ١ ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، المغرب ، ١٩٩٠ م .
- ٧- المقتبس من أنباء أهل الأندلس (للحقبة ٣٠٠-٣٣٠ هـ / ٩١٢-٩٤١ م) ، تحقيق ب. شالميتا بالتعاون مع كور نيطي و م. صبح، منشورات المعهد العربي للثقافة، مدريد ، ١٩٧٩ .
- ابن الخطيب ، لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م) .
- ٨- الإحاطة في أخبار غرناطة، ط ١ ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤ هـ .
- ١٥- أعمال الأعلام في من بويق قبل الاحتلال من ملوك الإسلام المسمى بتاريخ اسبانيا الإسلامية، تحقيق سيد كسروي حسن ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٣ م .
- ٩- اللوحة البدرية في الدولة النصرية ، صححه ووضع فهرسه ونشره ، محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٤٧ هـ .
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م)
- ١٠- تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تحقيق خليل شحادة ، ط ٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٨ م .
- ابن أبي زرع ، أبو الحسن علي بن عبد الله (كان حيا سنة ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥ م)

- ١١- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، ١٩٧٢ م .
- ابن سعيد ، علي بن موسى (ت ٦٧٣ هـ / ١٢٧٤ م أو ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م)
- ١٢- المغرب في حلى المغرب ، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ج ١ ، ١٩٥٣ م .
- الشربيني ، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب (ت ٩٧٧ هـ / ١٥٧٠ م)
- ١٣- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٤ م
- ابن عذاري المراكشي ، أبو العباس أحمد بن محمد (ت بعد ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م)
- ١٤- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان وإليفي بروفنسال ، ج ٢ ، ط ٢ ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٠ م ، ط ٣ ، ١٩٨٣ ؛ والجزء الخاص بالموحدين تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون ، ط ١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٥ م .
- العذري ، أحمد بن عمر بن أنس (ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م)
- ١٥- نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني ، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، د.ت.
- ابن غالب ، محمد بن أيوب بن غالب البلنسي (ت ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م)
- ١٦- قطعة من كتاب فرحة الأنفس عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمئة ، تحقيق لطفي عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ١٩٥٦ م .
- مجهول ، مؤلف (ت القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي) .
- ١٧- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، مجريط ، ١٨٦٧ م .
- مجهول ، مؤلف (ت في حدود ٨٩٥ هـ / ١٤٨٩ م).
- ١٨- تاريخ الأندلس ، تحقيق عبد القادر بوباية ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ٢٠٠٧ م
- مؤلف مجهول (كان حياً سنة ٨٩٧ هـ / ١٤٩١ م)
- ١٩- نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر ، تحقيق محمد رضوان الدية ، دار حسان ، دمشق ، ١٤٠٤ هـ .
- المراكشي ، عبد الواحد بن علي (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م)
- ٢٠- المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، وضع حواشيه خليل عمران المنصور ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٥ م .
- المقرئ ، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت : ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م) .
- ٢١- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨ م .
- ياقوت ، أبو عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م)

٢٢- الأندلس من معجم البلدان ، حققه وعلق عليه جاسم ياسين الدرويش ، ط ١ ، البصرة ٢٠١٢ م .

ثانياً : المراجع الحديثة

- إيرفنج ، واشنطن
- ١- أخبار سقوط غرناطة ، ترجمة هادي يحيى نصري ، مؤسسة الانتشار العربي ، ط ١ ، بيروت ، ٢٠٠٢ م .
- الحجي ، عبد الرحمن علي .
- ٢- التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (٩٢-٨٩٧ هـ / ٧١٠-١٤٩١ م) ط ١ ، بغداد ، ١٩٧٦ م .
- الدرويش ، جاسم ياسين
- ٣- أعلام نساء الأندلس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠١٧ م .
- السامرائي ، خليل إبراهيم وآخرون .
- ٤- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٦ م .
- الشمري ، يوسف كاظم جغيل
- ٥- العلاقات السياسية لسلطنة غرناطة في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة بابل ٢٠٠٣ م .
- عنان ، محمد عبد الله
- ٦- دولة الإسلام في الأندلس ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ج ١ ، ٥ ، ط الرابعة ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ، ج ٣ ، ٤ ، ط ٢ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م .
- الكتاني ، علي بن محمد المنتصر
- ٧- انبعاث الإسلام في الأندلس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٥ م .
- هنتس ، فالتر
- ٨- المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمه عن الألمانية كامل العسلي ، عمان ١٩٧٠ م
- ٩- Wikipedia.org ، مقالة عن مالقة الأندلسية .